وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة–

كلية: الآداب واللغات والفنون.

قسم: الأدب العربي.

تخصص: دراسات أدبية.

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في الآداب واللغات والفنون تخصص دراسات أدبية.

بعنوان:

الزهد في شعر أبي العتاهية

من إعداد الطالبتين:

- لزرق جمعة.
- بن جوقة جهاد.

إشراف الأستاذ:

– دين العربي.

السنة الجامعية: 2015– 2016م


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

أحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه يملأ أرجاء السموات و الأرض على توفيقي في طلب العلم و تكليلي بهذا العمل المتواضع

وأصلي وأسلم على أشرف خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم و رضي الله عن أله وعن جميع أصحابه الكرام.

قال الله تعالى:" و إن شكرتم لأزيدنكم"، إن الشكر لله الذي وفقنا في انجاز هذا العمل المتواضع فمهما كانت النتيجة لا نبخل في تقاسمه مع من ساعدنا في انجازه و نخص بالذكر:

الأستاذ المؤطر: "دين العربي" الذي لم يبخل علينا بالنصائح القيمة وتوجيهاته حتى تكون هذه المذكرة في المستوى .

إلى كل الأساتذة الذين أناروا لنا درب العلم من الطور الابتدائي إلى الجامعي إلى كل أساتذة معهد الآداب واللغات.

إلى كل من ساهم في انجاز هذا العمل ولو بالكلمة الطيبة من بعيد أو من قريب.

الإهـــداء:



الحمد لله الذي فتح عقلي و قدرني على الوفاء بوعدي على تقديم هذا العمل الذي أهدي ثمرته إلى ...من فقدته عيناي و حزن قلبي عليه و ترك فراغا رهيبا في حياتي الذي أعطاني كل شيء و رحل دون أن يرى جزءا أو شكرا إلى من تمنيته أن يكون أول من يعانقني في هذه اللحظة إلى روح "والدي" رحمه الله و طيب ثراه و أسكنه فساح جناته.

إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم إلى من احمل اسمه بكل افتخار أبي الحبيب "أحمد".

إلى الذي أشرق أنوار الأمل في حياتي، إلى الذي إذا زعزعني الدهر لجئت إليه، سندي و قوتي في الدنيا أخي الغالي: عبد الكريم دون أن أنسى زوجته وحبيبة قلبي "إيمان".

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والحنان والتفاني إلى بسمة روحي وسر الوجود إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة" الحاجة عائشة"

إلى التي حملتني جننا وربتني صغيرا ودللتني كثيرا أمي "زوليخة"

الغاليات اللاتي مازلن يحين على أدراج العمر الأولى إلى من هن اقرب إلى من روحي وبهم استمد عزتي وإصراري شقيقاتي: "فاطيمة، مباركة، خديجة، دليلة، خديجة، أم كلثوم، ريم، هجيرة، فاطيمة الزهراء، نسرين، عزة"

إلى إخوتي المفضلين اللذين كانوا سند حياتي: "جمال، الياس، عبد الهادي، حبيب، لخضر".

إلى عماتي الغاليات: رشيدة، مبروكة، عائشة، فاطنة أطال الله في عمرهن وحفظهن.

والى جميع أفراد عائلة: "مسعدي وبن جوقة"

إلى نور العائلة وفرحتها وضحكتها التي تكبر كل يوم الكتكوتة: "ابتهال"

إلى الوجوه المفعمة بالبراءة ولمحبتهما أزهرت حياتي الكتاكيت: "ملاك، محمد، رزان، فضيلة، يمنة، هديل، خديجة، رفيف، آدم، مؤنس، إيناس، يسرى، عائشة، أمال"

إلى توأم روحي ورفيقة دربي إلى صاحبة القلب الطيب والنوايا الصادقة إلى من سرت الدرب معها خطوة بخطوة إلى التي رافقتني في لحظات الفرح والحزن وما تزال ترافقني حتى الآن صديقتي "لزرق جمعة".

إلى الذي من كان بمثابة اليد اليمنى في حياتي وقرة عيني إلى من يعجز اللسان عن التعبير عن وفائه وإخلاصه "عيساوي قادة"

جهاد

الإهـــداء:

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يطيب الليل إلا بشكرك و لا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك و لا تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

إلى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب إلى من كلت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم إلى من احمل اسمه بكل افتخار والدي الحبيب "الباي" أرجوا من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار.

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والحنان والتفاني إلى بسمة روحي وسر الوجود إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة "حمادي بختة"

الى جدي وجدتي الحبيبين أطال الله في عمرهما وصانهما" حمادي محمد والزهرة"

إلى من كانوا مني الأغصان للشجر، وكانوا مني النور للبصر وكانوا كالنجوم والقمر في الليلة الظلماء

إخوتي: عائشة، زين العابدين، منال، فارس إسحاق، محمد.

إلى أحلى تحفة زينت حياتي خالتي العزيزة: "حمادي مسعودة"

الى كل عائلة "لزرق، حمادي وبلقاسمي"

إلى التي زرعت وردة حب جميلة في مذكرتي وإضافة قطرة ماء أحيت بها دربنا الطويل، إلى أروع إنسانة عرفتها في هذه الدنيا الحبيبة "بن جوقة جهاد"

إلى صديقاتي العزيزات: "صفاء، سعاد، أم الخير، خضرة، لمياء، إيمان، بختة"

جمعة

مقدمة:

الحمد لله القائل: "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين" **سورة القصص 38**.

وصلى الله عليه وسلم على إمام المرسلين وقدوة الزاهدين سيدنا محمد وعلى صحابته الأبرار...

فالزهد من مكارم الأخلاق التي تحظى بأهمية كبيرة في نظر الإسلام، فهو تاج الإسلام وعنوان السلامة وبه ينجو العباد من الحسرة والندامة، والمحروم من حرمه والمرزوق من رزقه فهو الذي احتضن به الأنبياء عليهم السلام.

فلقد حظي موضوع الزهد بدراسات أدبية كبيرة على مر العصور فمنهم من درسه موضوعا مستقلاً ومنهم من درسه مرتبطاً بالتصوف فعالجوا فيه بشعرهم قضايا مجتمعاتهم وإيجاد الحلول لها ومحاولة إصلاح ما فسد منها، فكان خير مثال للشاعر العابد الزاهد الذي يرى نفسه مسؤولا أمام الله عما ترد فيه المجتمع من ممالك.

فقد حاولت هذه الدراسة إظهار شعر الزهد عند أبي العتاهية فدرس بإمعان مجموعة من الدراسات الحديثة التي عبرت بهذا الشعر فقد انتضمت الدراسة على المنهج التحليلي لحياة الشاعر أبي العتاهية.

قد تدرجنا في بحثنا الزهد عن أبي العتاهية على مدار ثلاث فصول بدايتها مدخل تضمن نظر موجزة عن العصر العباسي ومدى تأثر الزهد بهذا العصر، ثم تطرقنا في الفصل الأول دراسة نبذة عن حياة أبي العتاهية فشمل على نسبة وأدبه واتصاله بالخلفاء وظروف عصره وخصائص شعره.

الفصل الثاني اشتمل مفهوم الزهد في العصر العباسي فبدأ بتعريف الزهد لغة واصطلاحاً ومفهومه في الإسلام ثم لمحة عن تيار الزهد في العصر العباسي وأنواعه في شعر أبي العتاهية.

الفصل الثالث شعر الزهد عند أبي العتاهية موضوعاته وأبرز سماته، ففي بدايته ابتدأ بموضوعات الزهد فتحدث عن الموت وتناول فيها الاستعداد للموت والإكثار من ذكره وعدم نسيانه وأنه رجل من دار الفناء إلى دار البقاء ثم التغير من الدنيا وذمها بأنها لا تعادل عند الله جناح بعوضة، وموضوع النصائح والمواعظ، للناس والحكام والخلفاء، وفيه الحث عن العلم الخالص لوجه الله والإكثار من ذكره، وموضوع ذم حياة الملوك وذوي المكانة والجاه وأصحاب المال، وما جمعوه من ذهب ومتاع فإن ذلك مصيره إلى الزوال، ثم موضوع الحكم والأمثال فكانت ثقال على شكل أبيات شعرية.

أما سماته الفنية فتحدثنا عن اللغة ودرسنا شكل القصيرة وأسلوبها، وقرب المعنى وسهولة اللفظ والتأثر بالمعاني الإسلامية والأجنبية وينتهي البحث بخاتمة تسجل خلاصته وأهم النتائج التي ضمها هذا البحث.

وتختم هذه المقدمة بمقولة أبي العتاهية الحكيمة التي تقول:

"إذ استغنيت عن شيء فرعه وخذ ما أنت محتاج إليه فهذه الحكمة تؤدي إلى اقتناع عميق لدراسة الزهد عند أبي العتاهية"

مدخل:

وصلت الحياة الفكرية في **العصر العباسي** إلى ذروة التطور والازدهار، ولاسيما في العلوم والآداب، وقد عرف العصر حركات ثقافية مهمة وتيارات فكرية بفضل التداخل بين الأمم وكان لنقل **التراث اليوناني والفارسي والهندي**، أو تشجيع الخلفاء والأمراء والولاة، وإقبال العرب على الثقافات المتنوعة ابعد الأثر في جعل **الزمن العباسي** عصرا ذهبيا في الحياة الفكرية ونحاول فيما يأتي التعرف على النتاج الأدبي، شعره نثره على اختلاف فنونه، وما لحقه من خصائص وتطورات.

في **العصر العباسي** كانت العربية قد أصبحت اللغة الرسمية في البلدان الخاضعة لسيطرة المسلمين، وكانت لغة العلم والأدب والفلسفة والدين لدى جميع الشعوب. وقد كتب النتاج بمحمله في اللغة العربية مع أن قسما كبيرا من أصحابه ليسوا من العرب. تركت الثقافات الدخيلة أثرا عميقا في علوم العرب وفلسفتهم، ولكن آداب الأعاجم لم يكن لها مثل هذا الأثر فالعرب لو ينقلوا إلا جزءا ضئيلا من الآداب الأعجمية لأنهم لم يشعروا بحاجتهم إليها ولم يكن أدباء العرب وشعراؤهم يتقنون لغات غربية، فظل أدبهم في محمله صافيا بعيدا عن التيارات الأجنبية، وقد غلب الطابع العربي على الأعاجم الذين نظموا وكتبوا بالعربية، فتأثروا بالاتجاهات الأدبية العربية وانحصر تجديدهم ضمن القوالب التقليدية، فكان هذا التجديد في **العصر العباسي** ضمن الأطر التقليدية.

قد نال الأدب والشعر في **العصر العباسي** ما لم ينله في العصور السابقة، وكل هذا بسبب الانعطاف السياسي والفكري المهم الذي شهده المجتمع العربي والإسلامي بعد قيام **الدولة**

العباسية، وكثر فيه اختلاط الأجناس والديانات وكثرة الفتن حول الخلافة وغيرها من زندقة ولهو ومجون وكثرة الترف وانتشار موجة الفساد السائد والتحلل في المجتمع الإسلامي [1]، و كان من نتائجه ظهور مجتمع جديد له خصائصه ومميزاته عن المجتمع القديم.

وبالتالي ظهور حركة أدبية ونهضة شعرية واسعة تأثرت بمجمل التغيرات التي طرأت على المجتمع. ولهذا السبب منع ذلك الانعطاف في الحياة العامة له أهمية كبرى في مسيرة الشعر العربي. فظهر الزهد كردة فعل على هذا الفساد والفتن التي نشأت ودفعت بالمسلمين إلى إنكار هذه الحوادث فعكفوا في بيوتهم حيث انصرفوا للعبادة وتركوا أمور الناس حتى يحكم الله بينهم فجراء هذا التحلل ظهر زهاد ووعاظ لدعوة الناس إلى حياة التقوى والصلاح وتحضيرهم من السقوط في أحوال الهواء والشهوات وتذكيرهم بحقيقة الدنيا واليوم الأخر.

ففي **العصر العباسي** تطور **الزهد** كرد فعل وكتيار مضاد لموجة الزندقة التي انتشرت بين الناس وأصبح للزهد شعراء مختصون هجروا ملذات الدنيا وانقطعوا للعبادة وافردوا شعرهم للزهد ولم يشغلوا أنفسهم بغيره. فتطور معهم وأوغل و حار حياة اللهو والمجون وأصبح الميل إليه دون سواه إلى الأغراض الفنية عند الشعراء الزاهدين أصبح ظاهرة مستفيضة عملت الدولة العباسية على انتشارها وتوغلها في مبادئها وقيمها ودليل الناس إلى الطريق الصحيح وذكر الله والتوكل عليه وترك كل ما يغضبه ويبعد عنه طاعته.

[1] آذر شب محمد علي، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، تهران، انتشارات سمث، 1382 هـ، ص 145.

فالزهد في **العصر العباسي** نشا بتأثيره كثرة الترف والدعوة إلى الرجوع إلى البساطة وتغليب إلى جانب الفقراء ونقد المجتمع على أن فن الشعر جانب من جوانب الدين الذي يوجب لبساطة ورخاء العيش.[1]

فينشد الشعراء للناس أغاني المجون وفي الوقت نفسه على بلاد العرب مجارى الحكمة فنشأت في كل ذلك نزعة زهدية تواصل الحكمة التي نجدها في الأدب العربي منذ أقدم عصوره وكان زعيم هذه النزعة في **العهد العباسي أبو العتاهية** الذي انشأ قصائد في **الزهد** عبرت عن أسسه في الدين من جهة وعن رغبته في الفن الزهدي من جهة أخرى فجاء شعره اجتماعيا حكيما في أكثره، كما قصد معاصروه من الشعراء أغراض أخرى مثل المديح والهجاء والرثاء والغزل وما شبه ذلك.

[1] خفاجة عبد المنعم محمد، تاريخ الأدب في العصر العباسي، الأزهرية، مكتبة الكليات، 1981، ص 130.

الفصل الأول:

نشأتــه:

"**أبو العتاهية**" لقب غلب عليه فهو **أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء**. ولد بعين التمر سنة 130هـ بالعراق, نشأ في أسرة فقيرة إذ كان أبوه حجاما فلما ذاقت بهم سبل العيش, انتقل أبوه وأخوه زيد إلى الكوفة وذلك كان في أوائل قيام دولة بني العباس, وهناك عمل في صناعة الجرار ، وما كان يصبح شابا حتى ينخرط في سلك المخنثين على ما تروي بعض الروايات عن نشأته, فربما كان تصرفه هذا بسبب ما كانت تعانيه الأسرة. فبعد اشتغاله الجرار بدأت بوادر الشاعرية تظهر عليه فكان يأتيه الأحداث والمتأدبون فيأخذون أشعاره ويكتبونها على ما تكسر من الخزف فرغم هذه الصنعة إلى أن ميوله وحبه للشعر جعله يترك هذه المهنة ويزاول الشعر فأصبح يتدفق على لسانه فاختلط بمعاصريه من الشعراء المجان في الكوفة وبدأ بتثقيف نفسه فانتظم في حلقات المتكلمين وعلماء اللغة والشعر في الكوفة فاستقامت لغته وجاد نظمه في الغزل ومما شجعه على ذلك ارتياده مجالس اللهو والغناء فكان شعره من أرفع الشعر.

أما سبب كنيته "**بأبي العتاهية**" ففيه قولان: أحدهما أن **الخليفة المهدي** قال له يوما : "أنت إنسان متحذلق معته "، فغلبت عليه هذه الكنية وأصبحت متداولة بين الناس أما القول الثاني فكان **لمحمد بن يحيى** يقول فيه: "كني **بأبي العتاهية** إذ كان يحب الشهرة والمجون والتعته".[1]

---

[1] ديوان أبي العتاهية، تقديم كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر 1406 هـ 1976 م، ص 05.

عاش "**أبي العتاهية**" إلى زمن المأمون بعد أن كف عن حياة اللهو والمجون, ومال إلى الزهد وانصرف عن ملذات الدنيا وشغل بخواطر الموت. وافته المنية سنة 218هـ 825 م.

أدبــــه

"**لأبي العتاهية** " ديوان في الزهد جمع في القرن الحادي عشر ميلادي, وديوان آخر جمع وأضيف إلى الأول وطبع كاملا في بيروت سنة 1887، أما شعره فهو قسمان: القسم الأول والأكبر منه يدور حول الزهد, والثاني في المديح والرثاء والهجاء والوصف والحكمة والموعظة ويمتاز عن غيره من الشعر بأنه أكثر فيه وأطال.

القسم الزهدي يقوم على أساس الموعظة وذكر الدنيا وتقلبها وسرعة زوالها والموت والآخرة وأحوالها ومن ناحية ثانية على الأخلاق والحكمة.

وكانت فكرة الموت عنده أساسا للموعظة, لأن الموت لا يغيب عن فكر الإنسان زاهدا كان أم فاجرا وفكرته عن الموت لا تختلف عن سابقيه ، فالقرآن الكريم والسنة النبوية قد جعلا منه ناقوسا يذكر البشر بأن إقامتهم في هذه الدنيا محدودة ويستحثهم للعمل الصالح استعدادا للآخرة فلكل إنسان أجل محتوم لا يتقدم ولا يتأخر.

➢ **مذهبه:**

إن المذاهب والاتجاهات التي تميز شاعرا عن غيره لا بد أن تتجلى إما عن طريق سيرته أو عن طريق نتاجه الشعري ، وقد (كان **أبو العتاهية** حر التفكير, وكان أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن يؤمن بالبعث, ويحتجون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد).[1]

قال **مهد بن يحي** وحدثني **عون بن مهد الكندي** قال أن المذاهب والاتجاهات التي تميز شاعرا عن غيره لا بد أن تتجلى إما عن طريق سيرته أو عن طريق نتاجه الشعري و قل "كان **أبو العتاهية** حر التفكير، وكان أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور و المعاد".[2]

وقد نسبت إليه مذاهب متعددة منها ومتناقصة لا يمكن الانتهاء إليها في أن واحد مثل **المجبرة** و**الزيدية**، وقد أشار إلى ذلك كرم **البستاني** في مقدمة ديوان **أبي العتاهية** " وكان يذهب إلى: أن المعارف واقعة بقدر الفكر والبحث والاستدلال طبعا، و يقول بالوعيد و تحريم المكاسب، ويتشيع **بمذهب الزيدية** و **البرئية** المبتعدة لا ينقص أحدا ولا يرى مع ذلك لخروج على السلطة وكان مجبرا ".

[1] ديوان أبي العتاهية، تقديم كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، ص 06.

[2] المرجع نفسه، ص 7.

و يقول **مهد بن يحي** وحدثني **عون بن مهد الكندي** قال : سمعت **العباس بن رستم** يقول: كان **أبو العتاهية** مذبذبا في مذهبه يعتقد شيئا، فإذا سمع طاعنا عليه ترك اعتقاده إياه واخذ غير وقدمتم التشكيك في مذهبه وصدق عقيدته و تزهد عواطفه و أول من شك في زهد **أبي العتاهية** ابن المعتز بقوله:

"والذي يصح عندي انه كان ثنويا "و لعله نظر إلى قول **أبي العتاهية** :

لكل شيء معــن و معدن و جوهر   واوســـط واصفر واكبر

و كل شيء لا حق بجـــــــــوهره   أصــغره متصل بأكبره[1]

فيها ما يشير إلى ثنائية الأشياء، والقول بوجود الهين اله الخير واله الشر، فالكون مبني على الثنائية كالليل والنهار.

وفي الأغاني كان مذهب **أبي العتاهية** القول بالتوحيد وإن الله" خلق جوهرين متضادين لا من شيء ثم انه بنى العالم هذه البنية منهما وان العالم حديث العين والصنعة " لا محدث الله، كن يزعم أن الله سيرد كل شيء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن تغنى الأعيان جميعا".[2]

[1] أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(2)، الجزء الرابع، 1412هـ 1992م ، ص139.
[2] المرجع نفسه، جزء 3، ص124.

ظروف عصره:

أ- الحياة الاجتماعية:

ظهر في المجتمع الإسلامي في **العصر العباسي** طائف من النزعات الاجتماعية منها الشعوبية واللهو والزهد.

فالزهد يعد رد فعل طبيعي للنزعات السابقة المنحرفة, وما ترتب عليها من اندفاع طائفة كبيرة من الناس ليغمروا أنفسهم في تياراتها الصاخبة فظهرت طائفة أخرى أنكرت هذا التيار المرتبط بالحياة المادية وأخذوا يصبون فيها ماء باردا ليخفضوا من نيرانها وحرارتها فاتجهوا إلى الزهد والتقشف وأداروا ظهورهم للحياة ومتاعها.[1]

فظهور هاتين الطائفتين في هذا المجتمع ليس أمرا غريبا بل يعتبر شيئا طبيعيا, فالناس في عصر الاضطرابات السياسية والانقلابات الاجتماعية يفقدون طمأنينتهم في الحياة ويرون

فيها شيئا خاليا من الاستقرار والثبات فمنهم من يندفع إليها ومنهم من ينفض منها ويتركها وراء ظهره ليستقبل ما هو خالد وباق ولهذا كان طبيعيا أن تكون العراق هي الإقليم الذي شهد ارتفاعا شديدا لموجة الزهد لأنه أكثر إقليم عايش الاضطرابات السياسية والانقلابات الاجتماعية في القرن الثاني للهجرة. والواقع أن مجتمع هذه الفترة لم يعش لهوا ومجونا وخلاعة وانحراف وإنما

---

[1] خليف يوسف، تاريخ الشعر في العصر العباسي، دار الثقافة بالقاهرة للطباعة والنشر، ص 35.

كانت فيه جوانب خيرة كثيرة, فكما كانت حانات بغداد والبصرة والكوفة وبيروت تغص بالمجان والشذا والخلاء الذين التفوا حول جواريها وعاشوا حياة لاهية إلى أقصى درجات اللهو, واستمتعوا بمتاعها وملذاتها إلى أبعد درجة الاستمتاع فكذلك كانت هذه المدن تغص بالوعاظ والعباد والنساك والزهاد الذين رفضوا الدنيا وزينتها ولهوها وملذاتها وانصرفوا عن زخرفها وارتفعوا بنفوسهم إلى آفاق روحانية صافية شفافة تتدفق فيها ينابيع النور وتختفي منها حجب الظلام وفي كل حلقة من حلقات المساجد وفي كل ركن من أركانها وعاظ يذكرون الناس بفناء الحياة وخلود الآخرة, وما ينتظر المتقين من ثواب وما ينتظر العاصين من عقاب.

فاختلاف الأجناس والديانات كان له أثر كبير في الانقلابات الاجتماعية فهو سبب رئيسي في كثرة الفتن بين الناس وكثرة الفساد وانتشار اللهو والمجون, فالحياة الاجتماعية التي عاشها **أبو العتاهية** في مجتمعه من حرمان وانحراف وغيرها من الأشياء جعلته يبتعد عن الدنيا ومتعها ويعتنق الزهد وقيامه ويؤمن بالحياة الدائمة هو أهم شاعر صور هذه الموجة من الزهد الإسلامي التي انتشرت في هذا العصر وعبر عنها تعبيرا واتخذ منها مواعظ للناس تبين لهم عواقب ملذات الدنيا واتخذ من الزهد موضوعا لشعره واستخدمه كسلاح يحميه من لعنة الحياة.

ب –الحياة السياسية:

شهدت طفولة **أبي العتاهية** تلك الحياة السياسية المضطربة التي عاشها المجتمع الإسلامي وعقبه الانقلاب **العباسي** وشهد بعينه رؤوسا تتطاير, وأشلاء تتناثر, وأرواحا تزهق, ودماء تسيل ، هذه الصورة القائمة السوداء انطبعت في نفسه منذ طفولته وسنه المبكر ، وانطبعت في نفسه كذلك صورة قائمة لمصير الإنسان في الحياة ذلك المصير الذي شغله وأخذ تفكيره لوقت طويل.[1]

فالظروف السياسية التي عاشها **أبو العتاهية** في الكوفة، ومظاهر الظلم التي شاهدها ومر بها ، ومشاهد الموت كلها ترسبت في نفسه حقارة الدنيا وهوان العمر ثم انه ولد إبان صراع **العباسيين** مع **الأمويين** ومن والاهم, **والشيعة** ومن ناصرهم, فقد وضع **الخليفة المنصور** الكوفة تحت رقابة صارمة وفرض عليهم نوعا من الحكم العرفي, كما فعل **الحجاج** من قبل بل لعله كان أشد دهاء منه، فقد اتخذ له في الكوفة جاسوسا اسمه **ابن مقرة** يتجسس عليهم ويتقصى له أخبارهم ، وهذه المظاهر كلها جعلت **أبا العتاهية** ينحى منحى الزهد في شعره ويأخذه كوسيلة يدافع بها في هذه الأجواء السياسية المضطربة التي تعيشها دولته وكان يحاول أن يجد لها حلا ، فالمظالم السياسية في الكوفة دفعت **بأبي العتاهية** إلى عالم المجانة والتخنث، ليغرق همومه ويفر من معاناته وينتقم لنفسه من كل معنى كريم، انتقاما من الدنيا التي لم تحفظ كرامته ، وهو في الواقع انتقام من المجتمع بإهدار من قيمه التي يفترض فيه دائما أن يتمسك بها ويتطلع إليها ، وهذا السلوك من ناحية أخرى يوفر

---

[1] خليف يوسف، تاريخ الشعر في العصر العباسي، دار الثقافة بالقاهرة للطباعة والنشر، ص 26.

له الأمن السياسي حيث لا يطلبه العسس ولا تتعقبه الجاسوسية بل يظل خارج الدائرة ، لا هو في العير ولا في النفير.

كان في أول أمره يتخنث ويحمل زملاءه المخنثين ولعل ريح البطش وارتياع العانة والخاصة للناس في ظل الظروف السياسية السيئة للكوفة هو الذي حذا **بأبي العتاهية** أن يطلب سبيل السقوط والمجانة في رحاب المخنثين في مطلع شبابه ، **وأبو العتاهية** نفسه عندما سئل كيف يضع نفسه مع المخنثين؟ أجاب بما يفيد أنه ليس منهم ولكنه محتال ومحتاج إلى صحبتهم قائلا: "أريد أن أتعلم كيدهم وأتحفظ كلامهم".[1]

وقد نسبت إليه مذاهب متعددة ومتناقضة لا يمكن الانتماء إليها في آن واحد مثل **المجبرة والزيدية**، وقد أشار إلى ذلك **كرم البستاني** في مقدمة ديوان "**أبي العتاهية** " وكان يذهب إلى: "أن المعارف واقعة بقدر الفكر والبحث والاستدلال طبعا ، ويقول بالوعيد وتحريم المكاسب ، ويتشبع بمذهب **الزيدية والبترية** المبتدعة لا ينتقص أحدا ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطة وكان مجبرا".[2]

[1] أبو الأنوار محمد، الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية، ط 2، دار المعارف، ص 209

[2] ديوان أبي العتاهية، تقديم كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، ص 10.

ويقول **محمد بن يحيى** :"حدثني **عون بن محمد الكندي** قال: سمعت **العباس بن رستم** يقول: كان **أبو العتاهية** مذبذبا في مذهبه يعتقد شيئا ، فإذا سمع طاعنا عليه ترك اعتقاده إياه وأخذ غيره."[1]

➢ **اتصاله بالخلفاء:**

في كل عصر من عصور التاريخ، وفي كل قطر من أقطار الأرض، ينشا مجريان من طرفان في حياة المجتمع البشري، الأول مجرى العبث و الخلاعة. و المجرى الثاني الحرص و التقشف.

في الأول يكثر المسترسلون في الموبقات والشهوات والأهواء وفي الثاني نرى الذين عافت نفوسهم ملذات الحياة فانكبوا عنها إلى زوايا الزهد، **فأبو نواس** يطغى على مجرى حياة اللهو و المجون ويعكس لنا حياة العابثين أما **أبا العتاهية** بمثل المجرى الأخر و يعكس لنا عواصف المتطرفين.

قدم **أبو العتاهية** من الكوفة إلى بغداد مع **إبراهيم الموصلي** ثم افترقا و نزل **أبو العتاهية** في الحيرة، ويظهر انه كان قد اشتهر في الشعر فالخليفة المهدي لم يسمع بذكره حتى أقدمه إلى بغداد فنال جوائز عديدة، وقد عرف **أبو العتاهية** (عتبة) جارية المهدي فأولع بها وطفق بذكرها في شعره فغضب الخليفة المهدي وحبسه، ولكن الشاعر استعطفه بأبيات شعرية، فرق له المهدي وخلى

---

[1] أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(2)، الجزء الرابع، 1412هـ 1992م ، ص 9.

سبيله، فلما جاء الرشيد كان **أبو العتاهية** قد اعرض عن شعره فطلب إليه أن يعود، فأبى و حبسه في منزل مهيا حتى عاد إلى الشعر ولزم **الرشيد** وقد مدح بعد **الرشيد الأمين، فالمامون** و مات سنة 218هـ:

و مما قال في **عتبة جارية المهدي**:

يا إخوتي إن الهوى قاتلي   فيسروا الأكفان من عاجل

و لا تلوموا في إتباع الهوى   فـــــإنني في شغل شاغل

عيني على عتبة منـــــهلة   بـدمعها المنسكب السائل[1]

وظل **أبي العتاهية** منعزلا في عتبة ينظم فيها الكثير من الأشعار حتى أمر **المهدي** بجلده وادخله السجن إلى أن تشفع فيه حاله وأخرجه على الرغم من ذلك ظل حب **عتبة** منشغلا بقلبه حتى جاءت خلافة **الرشيد** الذي حاول تزويج **أبي العتاهية** من **عتبة** ولكن لم يفلح في الأمر فأصيب **أبي العتاهية** باليأس فقال:

قطعت منك حبائل الأمل   وحططت عن ظهر المطي رحالي

و يئست أن أبقى لشيء نلت مم   من فيك يا دنيا أن يبقى لي[2]

---

[1] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985، ص 618.617.

[2] ديوان أبي العتاهية، تقديم كرم البستاني، دار صادر: بيروت. ص325.

فقرر بعد هذه الصدمة أن يميت قلبه إلى الأبد وأن ينصرف عن متع الحياة وملذاتها وأن يعتزل الناس ويفرض على نفسه حياة تقوم على الزهد والتقشف. "ومضى في زهده يجاهد نفسه مجاهدة عنيفة، إذ فرض على نفسه الحج كل عام، كما فرض عليها اعتزال الناس والميل إلى الوحدة ومفارقة مجالس اللهو والشعر والغزل، كما كان يفرض على نفسه أحيانا أن يصوم عن الكلام ومضى يماس هذه الرياضة الروحية حتى ودع الحياة".[1] نتيجة المشاكل العاطفية والاجتماعية التي مر بها **أبي العتاهية** جعلته يحاسب نفسه حتى ألقى بها إلى الممات، فبعد كل ما بذله شاعرنا مع الخلفاء وملازمته لهم إلا انه بعد أنضاله **بموسى الهادي** بعد وفاة **المهدي**، ثم **بالرشيد** بعد **الهادي**، فنادمه ولكنه ما لبث أن ترك منا ومنه وعدل عن قول الشعر إلى التصوف، وكسر جرار الخمر وتزهد، واخذ يذكر الموت وأهواءها و ترك كل ما هو زائل في هذه الحياة من غزل ولهو ومجون.

➢ خصائص شعره:

ينقسم الشعراء إلى قسمين: القسم الأول هم **شعراء متكلفون** وهم الذين يحتاجون إلى وقت لكتابة الشعر وصقله وتنقيحه بل إن بعضهم يمكث عاما ينقح قصيدته ، أما القسم الثاني **شعراء مطبعون** هم الذين يقولون الشعر ارتجالا واليهم ينتمي شاعرنا أبي العتاهية.

قيل له كيف تقول الشعر؟ قال: "ما أردته قط إلا مثلا لي فأقول ما أريد وأترك ما أريد".

---

[1] حليف، يوسف، تاريخ الشعر في العصر العباسي، ص88.

وقال **روح بن الفرج** : "جلست إلى **أبي العتاهية** فسمعته يقول : لو شئت أن أجعل كلامي لفعلت"[1]، فلقد رأى **أبو العتاهية** أن كل أقواله وكلماته شعرا كونه كان مثقفا ثقافة واسعة إسلاميا ولغويا وثقافته العربية ثقافة دقيقة جعلته يتقن صنعة الشعر ويصبح شاعرا له طابعه الخاص به وهو ما تدل عليه أشعاره التي تمثل حياته وانعكاسها فيه.

أما أسلوبه في الشعر فهو من السهل الممتع الذي يجري على طبيعته من غير تكلف ، فهو يعبر عن الأفكار بطوابع عجيبة وقد كان يقول الشعر بديهيا وطبيعيا لا تجد فيه أثرثرا للتصنع والتكلف كما أنه لم يلتزم في شعره بما جاءت به القصيدة القديمة من تقاليد حيث الوقوف على الأطلال وحيث الرحلة والناقة ، فنحى في شعره منحى يفتح السبيل لطبيعة عصره وما تميزه من أساليب خفيفة وسهلة وألفاظ لينة ورقيقة وتتضح نعومتها وعذريتها عندما يمدح هارون الرشيد بشكل أدق وأكثر عناية بأسلوب غزل وهو يمدحه بالتقوى وحماية الإسلام والدولة والشجاعة والسخاء فيقول:

وهارون ماء المزن يشفى به الصدى   إذا ما الصدى بالريف غصت خناجره

وأوســـــط بيت في قريـش لبيتــه   وأول عــــــــــزفي قريـش وآخــره[2]

كما أنه كان يميل إلى التجديد الشعري في عصره إن لم يكن أحد مؤسسيه ، فقد حذر نفسه من التقيد بالمعاني والألفاظ والأوزان فأتى بمعان جديدة ونظم عليها أوزانا جديدة لا تدخل في العروض فلما سئل: "هل تعرف العروض؟ أجاب: أنا أكبر سنا من العروض".

---

[1] ديوان أبي العتاهية, تقديم كرم البستاني, دار بيروت للطباعة والنشر 1406 هـ 1976 م، ص 12.

[2] المرجع نفسه، ص 15.

أما قوافيه فكانت متناسقة مع ألفاظه السهلة وهو متمكن منها وله أذن حساسة في الموسيقى وإيقاع الوزن وشعره كان متأثرا بالأدب الفارسي والحكمة اليونانية فهو أول من فتح باب الوعظ والتزهيد في الدنيا ولكن أشهر ما عرف به هو زهديانه ، فقد كان ينادي في أشعاره بالحياة الآخرة الحساب والثواب والإكثار من ترديد الموت والتذكير بمصير الإنسان وأن الدنيا فناء وكل البشر مصيرهم تحت التراب ، وكان شعره فيه الإكثار من المواعظ الدينية التي تتضمن حكم متفرقة ، ومن أسس الموعظة الشعرية عند أبي العتاهية أنه يحقر شأن الدنيا فهي خداعة لا تدوم على حال فما هي إلا زيف وكانت أشعاره فيها الابتهالات الدينية والاقتباس من القرآن الكريم والسنة النبوية.

أما أن زهده هجاء أحيانا فظاهر مما يضمن بعض مقطوعاته من قصص وروايات, فإذا مر عليه أميرا أو حاكما متعاليا مغرورا متكبرا يواجهه. فبحكمته وأشعاره كان يواجه كل من يقف أمامه.

لقد تميز **أبو العتاهية** بشعره الزهدي بعفوية وانسياب في لغته ، وجنوح إلى إيراد المعاني في صياغة حكمية وفي تلاحق واطراد ، مستقلا كل معنى منها بسبب واعتماده على المعجم القرآني في صياغة هذه المعاني بشكل ملحوظ.

الفصل الثاني:

➢ **مفهوم الزهد:**

➤ **لغة** : القلة, فالشيء الزهيد هو الشيء القليل.[1]

وورد الزهد والزاهدة في الدنيا, والزهد ضد الرغبة. يقال زهد في الدنيا أي ترك حلالها مخافة حسابها وترك حرامها مخافة عقابها. [2] وهذا يعني أن الإنسان يبتعد عن كل ماهو حلال أو حرام مخافة من الحساب, وزهد في الشيء إذا لم يرغب فيه و[زهد] يزهد بالفتح فيهما [زهدا] و[زهاده] و[التزهد] التعبد [التزهيد] ضد الترغيب.[3] فهو يعني ضد رغبة الإنسان ونفسيته

➤ **اصطلاحا:**

كما تعرفه دائرة المعارف الإسلامية: هو الابتعاد عن الخطيئة والاستغناء عن الكماليات وتجنب ما من شأنه أن يبعد عن الخالق.[4] وفي هذا يقصد الابتعاد عن ما هو حرام وما يغضب الخالق من أخطاء سواء كانت أفعال أو أقوال.

كما أن الزهد هو حنين الروح إلى مصدرها الأول ومعرفة الخالق عن طريق الزهد في الدنيا ومتاعها والرغبة عن نعيمها وتفضيل نعيم الآخرة عليها. وقد وردت كلمة الزهد في القرآن الكريم في قوله تعالى" وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين" فإنهم قد باعوا بثمن قليل

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، مادة زهد، ج3، ص 1876.

[2] أنيس إبراهيم، منتصر عبد الحليم، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم الوسيط، ص 428.

[3] ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ج 4،ص 196.

[4] الأفندي محمد ثابت وجماعته، دائرة المعارف الإسلامية، مادة (زهد)، المجلد 10، ص 451.

من الدراهم وزهوا فيه لأنهم كانوا يريدون التخلص من تهمة بيعه, ولم ترد كلمة زهد أو مشتقاتها في القرآن الكريم إلا في هذه الآية من سورة يوسف عليه السلام.[1]

أما المصطفى صلى الله عليه وسلم فكان يكثر من ذم الدنيا ومقارنتها بالآخرة, فعن أبي سعيد الخدري أنه عليه السلام قال:"إن الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون, فاتقوا الدنيا واتقوا النساء, فان أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء".[2]

وتكلم الصحابة والتابعون في تفسير الزهد وتنوعت عباراتهم في ذلك فنجد لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وصفا للزاهدين حيث يقول:" طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا, وترابها فراشا, وماؤها طيبا والقرآن شعارا, والدعاء دثارا".

ومن الصحابة قال:" أفضل الزهد, الزهد في الشرك وفي عبادة ما عبد من دون الله, ثم الزهد في الحرام كله من المعاصي, ثم الزهد في الحلال وهو أقل أقسام الزهد".

ونقف على معنى الزهد لدى شيخ الإسلام ابن تيمية, بأنه شكل من الزهد مضمونا روحيا, ولم يجعله محصورا في دائرة الماديات وحسب فهو يرى أن الزهد يكون مع الغنى وقد يكون مع الفقر فالزهد عنده نوعين: مشروع عنده ترك ملا ينفع في الآخرة, وغير المشروع ترك ما يستعين به العبد على طاعة الله فالشيخ ابن تيمية يرى بأن لا يجب على الزاهد أن يشترط فيه الغنى أو الفقر فكل

---

[1] نوفل أحمد. سورة يوسف (آية 20) دراسة تحليلية, سلسلة القصص القرآني, دار الفرقان، ط1، عمان، 1409هـ 1989، ص 80.

[2] نزار عبد الله الضمور, الزهد في الشعر العباسي, دار الجامد للنشر والتوزيع، ط1، 2012 -1433هـ، ص16.

ما كان عليه الإنسان لا يؤثر فيه فيمكن أن يكون زاهدا وهو غني فالغنى لا يمنع عن الزهد ولا الفقر.

مفهوم الزهد في الإسلام:

الزهد بذرة صالحة غرسها الإسلام في نفوس المسلمين الأتقياء, وهو ميل فطري إلى التقوى وعزوف عن الدنيا وملذاتها والاشتغال فيما يعمر الآخرة, والزهد الذي حث عليه الدين الحنيف هو أن تكون الدنيا في يد الإنسان لا في قلبه فينفق ويجود ويعطي كما قال تعالى:"وسيتجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى". [1]

وليس في الزهد إعراضا عن الدنيا في كل الحالات وليس انسحابا من المجتمع وإقبالا على الخلوات والزوايا وحبس النفس فيها فذاك زهد النصارى لا المسلمين كما يؤيد ذلك قول الرسول صل الله عليه وسلم:"إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي." [2]

[1] سورة الليل الآية 21.

[2] حديث شريف.

إن القول بابتعاد الزهد عن الدين كليا يحتاج إلى تسليط الضوء على شيئين:

➤ **أولهما:**

هناك تعاليم في الدين يفهم منها أن المقصود هو الابتعاد عن الملذات قدر الإمكان وبهذا يتوفر الوازع الديني مثل وجود آيات قرآنية تحض على الابتعاد عن الملذات في قوله تعالى:" وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور."[1]

➤ **ثانيهما:**

وجود العوامل الدنيوية الدافعة إلى الزهد والابتعاد عن ملذات الدنيا وبهذا يكون العاملان السابقان أساسيين في التشجيع على المشي في طريق الزهد.

➤ **تاريخ الزهد في العصر العباسي:**

لم يكن شعر الزهد في العصر الجاهلي وصدر الإسلام والأموي فنا مستقلا ولكن في العصر العباسي فنجده فنا مستقلا قائما بذاته ويتخصص به عدد من الشعراء. وقد أدت مجموعة من العوامل إلى ازدهاره من أبرزها اضطراب الحياة السياسية وما واكبها من صراعات وثورات وفتن, فكان الكثير من الناس إذا خرجوا منهزمين من الثورات والنزاعات السياسية يبتعدوا عن الدنيا وزخارفها حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

---

[1] سورة آل عمران الآية 185.

وثاني عوامل الزهد أنه جاء رد فعل لما ساد الحياة الاجتماعية من انحراف عن المثل العليا والقيم الإسلامية والإغراق في ملذات الحياة ولاسيما الناس الذين لم ينجحوا في تحقيق مكاسبهم الشخصية ومصالح دنيوية فانصرفوا عن الدنيا وملذاتها وأقنعوا أنفسهم بأنها خادعة غدارة وان الإعداد لها لا يقارن مع الإعداد للآخرة ونعيمها الدائم لا للدنيا الزائلة

والعامل الثالث الذي ساعد على انتشار وازدهار الزهد هو التأثر بالثقافات الفارسية والهندية واليونانية وما تحتويه من حكم ونزعات فلسفية فالحكم التي ترجمت عن الفرس والهنود واليونان ساعدت على انتشار تيار الزهد في المجتمع العباسي.[1]

فأثر الثقافة اليونانية في الشعر والشعراء في العصر العباسي كان عميقا, فلقد تأثر الشعراء العباسيون بمرائي فلاسفة اليونان **لاسكندر المقدوني** وكانت هذه المرائي قد ترجمت إلى العربية وممن تأثر بها أبو العتاهية فمن ذلك قول أحد الفلاسفة اليونان:" **الاسكندر** كان أمس أنطق منه اليوم, وهو اليوم أوعظ منه أمس." فتمثل أبو العتاهية هذا القول لصديقه يقول من أبياتها

بكيتك يا علي بدمع عيـني فـما أغنى البكـاء علي شيا

كفى حزنا بدفنـك ثـم أني نفضت تراب قبرك عن يديا

وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيـا

[1] هشام طعمي، تاريخ الأدب العربي، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ط1، القاهرة، مصر، 2010، ص 178.

والمتأمل لشعر **أبي العتاهية وصالح بن عبد القدوس ومحمود الوراق** يستطيع أن يجد في زهدياتهم غريبة بوذية أو مانوية.[1]

زهد أبي العتاهية:

سيق **أبو العتاهية** سوقاً إلى طريقة التفكير في رؤية عربية للعالم في بيئته وعصره حيث أنه التمس العذاب ضمن السرور وأدرك النهاية في صميم البداية والإحساس بالألم خلال الاستماع باللذة، والشعور بالموت في كل حيز من هذه الحياة، فقد اجتمعت في نفسه وفي الأحول التي أحاطت بحياته عوامل متباينة كانت ترغبه تارة في الدنيا وتارة فيها هذا لأنه كان ضعيف النفس خلق كان في بداية أمره مسبعاً نفسه من ملذات الدنيا والجري في حلبة **أبي نواس ودعبل** وجماعتهم التي اتخذت المجون شعاراً ومذهباً إذ تتبين حياته في مظهرين: حياة الغزل والمنادمة وحياة الوعظ والتقشف إلى أن الناظر في شعره لا يجد فيه غير رجل متزي يرى الفقراء، لا يملك القوة الكافية للاندلاع وراء مثله العليا بكل جوانحه، فانقلبت حياته من لهو إلى زهد ووعظ وهذا ما دفع بمعاصريه إلى جعله داعية إلى الزهد أي يدعو الزهد، أكثر منه زاهداً لسببين رئيسيين:[2]

أحدهما أن العاصمة لم تكن البيئة الصالحة لحياة الزهاد الحقيقيين كانوا متهيئين للاستشهاد في سبيل نصرة النصر الإسلام والدفاع عنه ومساهمين على انتشاره.

[1] هشام طوغي، تاريخ الأدب العربي، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ط1، القاهرة، مصر، 2010، ص 169.

[2] عز الدين إسماعيل، الرؤية والفن، ص303.

أما **السبب الثاني**: يتعلق بأبي العتاهية نفسه لما يبرر أمامنا من سلوكه وأقواله فلو أنه كان زاهداً حقيقياً لكان سلوكه الشخصي ترجمة عملية لأقواله فدليل عقل المرء فعله ودليل عمله قوله، والتي لا يمل ترديدها في أشعاره فلقد اجتمعت لديه جملة أسباب دفعته إلى التمسك واقتصار قوله على التزهيد في الدنيا والتذكير بالموت نجد في طبيعتها طابعة النفسي والفطري المتمثل في صنعه الشاعر وانحطاط أهله فمهنة صناعة الفخار وبيع الجرار التي اخترقها دليل عليه وعلى ما لازمه حيث حل وارتحل عن حياة اللهو والمجون وأخذ ينشد مشتريه الشعر درجة أنهم كانوا يقبلون عليه من أجل الابتعاد عن الذات الدنيا وملأ فراغ حياته بما هو صحيح ثم انتقل إلى الشعر وجعل شعره سلاح يهيمن به على كل ما كان يفعله واتخذ يحاسب نفسه في أشعاره ويدعو من الله أن يغفر له ذنوبه ويتوب عليه.

فمن خلال أشعاره يعترف بأنه تزهد في الدنيا وهي صبغة تحمل معنى الادعاء أو معني المحاولة، فقد حاول الزهد ولكن رغبته في الحياة كانت أقوى ومحاولته للزهد اصطدمت دائماً بهذه الرغبة القوية في الإقبال على الحياة.

كان **أبو العتاهية** من فطرته جنوحا إلى المثل الروحانية فعزم الزهد في متع الحياة والصبور إلى عيشة متقشفة مجردة والظاهرة أن عزمه كان صادقاً "روي أنه كان يلبس المسح ويحيا بعض الليالي ساهرة للصلاة"[1]، فهو كان دائم التوكل على الله كثير الحمد ساهر الليالي للطاعة راض بالحاضر والمستقبل ومتخذ من أحداث الأيام عبر ومواعظ، وفي ذلك يقول:

أنا بالله وحده وإليـــــــــه إنما الخير لكل في يديه

أحمد الله وهو ألهمني الحـــ مد على المن والمزيد لديه

كم زمان بكيت منه قديمـاً ثم لما مضى بكيت عليه[2]

يحمد الله على كل شيء، فهو مقتنع في دنياه بالدعاء والمناجاة فكل هذه الشواهد التي وردت في حق أبي العتاهية تكاد تكون شبه إجماع على أن زهد كان في الظاهر أما في الزهدية مواعظ وقصائد جعلت البيت العباسي يفوز منه بنصيب الأسد.

---

[1] حنى الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص422.

[2] مصطفى الشعكة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص218.

➢ أنواع الزهد في شعر أبي العتاهية:

ينقسم الزهد إلى ثلاثة أقسام (أنواع):

1 – ما يكون بالإضافة إلى الزاهد.

2 – ما يكون بالإضافة إلى المرغوب فيه.

3 – ما يكون بالإضافة إلى المرغوب عنه.

النوع الأول: ما يكون بالإضافة إلى الزاهد وله ثلاثة درجات:

❶ أن يزهد في الدنيا وقلبه مائل إليها ونفسه إلى لذاتها متلهفة, ولكنه يكفها ويستعين بالله تعالى على دفعها. فالدنيا لا تقدم للإنسان شيئا محضا بل تنغص عيشه وتكدر مزاجه فقد وصفها القرآن الكريم بدار البلوى لقوله تعالى :" الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور."[1]

❷ أن يترك الدنيا طوعا لاستحقاره إياها مقارنة بما يطمع فيه, يقول أبو العتاهية في قصيدة بعنوان (نحن ركب ضمه سفر):

إذا نظرت إلى دنياك مقبلة   فلا يغرنك تعظيم ولا ملق

أخي إنا لنحن الفائزون غدا   إن سلم الله من دار لها علق

[1] سورة الملك الآية 02.

فالحمد لله حمدا لانقطاع له ما إن يعظم إلا من له ورق[1]

لم يكتف الشاعر بترك الدنيا بل حذر منها ومن غرورها لأن من يضحي بتركها سيكون من الفائزين بيوم القيامة والعجيب هو أن الناس في غفلة عن يوم القيامة وكما يقال: ما أكثر المواعظ وما أقل المتعظين

❸ أن يزهد بمحض إرادته ولا يرى لزهده ثقلا أو وزنا يذكر, ومن خلال هذه الدرجة من الزهد لا بد أن يزهد الزاهد في زهده وأن يعرف أن الدنيا لاشيء فلماذا ينشغل الإنسان بما لا يعنيه ولماذا لا يطلب أكثر مما يكفيه؟ ولماذا يميل إلى الاحتيال وإتباع الأهواء؟ أليس الدين يحتم الإيمان بقضاء الله فلو ترك الجري وراء الرزق لجرى الرزق وراءه

النوع الثاني: ما يكون بالإضافة إلى المرغوب فيه وله ثلاثة درجات.

الدرجة الأولى:

وهي السفلى, أن يكون المرغوب فيه النجاة من العار وسائر الآلام والأهوال الأخروية التي تنتظر العبد بعد موته وذلك زهد الخائفين. ونجد شعر أبي العتاهية قد حفل بالمعاني التي تضمنتها تلك الدرجة فرغبته في النجاة من النار جعلته يزهد في الدنيا وجميع زخارفها ولا يقف شعره عند ذلك بل يتطرق إلى ما يتضمنه القبر من أوصاف جعلته ينسى المجون وتوبيخ الماجنين فكل معاني الموت والقبر يستقيها من القرآن الكريم والأحاديث النبوية

[1] ديوان أبي العتاهية، تقديم كرم البستانين، دار بيروت للطباعة والنشر، 1406هـ-1976م، ص 439.

الدرجة الثانية:

وهي الزهد في الدنيا رغبة في الأجر والثواب الذي أعده الله من نعيم وهذا هو زهد الراجلين

يقول أبو العتاهية

عجبت للجنة التي شوق إلا له إليها إذا نام طالبها[1]

كيف لا يندهش من ذلك وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ولا خطر على قلب بشر

وكيف لا يرضى الإنسان الذي يدخل الجنة وهو لا يتمنى شيئا إلا و يجده بين يديه دون عناء

الدرجة الثالثة:

وهي العليا ألا يكون له رغبة إلا في الله عز وجل وفي لقائه , وهذا زهد المحبين العارفين

وهي درجة عالية لا يرتبط الزهد فيها بالفوز بالجنة أو بالنجاة من النار بل يرتبط قلب الزاهد بالله تعالى وشكره على نعمه وأيادي كرمه. فمعرفة الله تعالى مكسب كبير لا يضاهيه أي مكسب آخر لأن من عرف الله وجد كل شيء وجهل الله سبحانه فقد كل شيء بل هو الفقر بعينه.

النوع الثالث:

ويكون بالإضافة إلى المرغوب عنه ولهذا النوع درجات ومراتب في شعر أبي العتاهية وهي كثيرة لأن ما يرغب عنه الإنسان من شهوات وملذات دنيوية كثيرة ويمكن ذكر أهمها على النحو التالي:

---

[1] ديوان أبي العتاهية، تقديم كرم البستانين دار بيروت للطباعة والنشر، 1406هـ-1976م.، ص 26.

➥ **الهوى:**

وهو أن يتبع الإنسان أهواءه ويقدسها مهما تعارضت مع السنن الإلهية والشاعر لا يرى ذلك صوابا لأن الهوى لا يستحق الاهتمام بل أفعال الزمان بأهله هو الأجدر بالنظر والتفكر.

يقول:

لا تنظر إلى الهوى وانظر إلى ريب الزمان بأهله ما يصنع[1]

➥ **اللعب واللهو:**

كن مستعدا أيها الإنسان لساعة الرحيل ولا تكن مغرورا بطول الأمل ولهوك في الدنيا ولا تتعجل الأمور لأن في دنياك تعيش في سعة من الحال مهما كان عمرك قصيرا, وتذكر أنك مسؤول عن أعمالك وعليك أن تنتبه جيدا للدنيا واحذر أن تقع فريسة لألاعيبها لأنها لا تساوي شيئا.

[1] ديوان أبي العتاهية، تقديم كرم البستانين دار بيروت للطباعة والنشر، 1406هـ-1976م، ص 247.

الفصل الثالث:

عند دراستنا لشعر الزهد لدى **أبي العتاهية** وجدنا أنه يشتمل على الموضوعات الآتية:

الموت:

فكرة الموت كانت سلاح **أبي العتاهية** للتخويف الموجع والقاسي للتقاة الراغبين في التوبة فهذه الفكرة مصير محتوم على الإنسان وعلى كل كائن حي ، فهو يخاطب الإنسان الذي نسي الموت ويريد الخلود في الدنيا وزخارفها.

فلقد شاهد **أبو العتاهية** المجازر وحقارة الدنيا في مجتمع الكوفة حيث اشتد الصراع بين **الأمويين** و **العباسيين** وبين **بني العباس** أنفسهم، وشاهد هو أن الإنسان مهما كان قدره ومنزلته وروعته مشاهد الموت وهانه أكثر من مرة سقوط أهل المنعة والكرامة في ساحة الردى.

من نوادر ذلك أنه " دخل رجل يدعى **بأبي عبيد الله على المهدي** وكان قد وجد عليه في أمر بلغه عنه، وأبو العتاهية حاضر المجلس, فجعل المهدي يشتم أبا عبيد الله ويغيظ عليه ثم أمر به فجرت رجله وحبس, ثم اطرق المهدي طويلا فلما سكن أنشده أبو العتاهية

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذابا كلما كثرت لديه

تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه

إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه[1]

[1] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م. ص 410-411.

فلقد عاش **أبو العتاهية** حياة كثر فيها القتل والتقلبات السياسية في البيت العباسي بين أمراء العباسيين وغيرهم وانتشرت فتنة الحياة ومتاعها فكان الناس يجرون ويركضون وراء حانات الخمر ووراء الجواري والفساد يضنون أن الدنيا هي التي تجعلهم سعداء ونسوا أن أعمالهم للآخرة هي التي تجعلهم يفوزون ويصنعون لأنفسهم ما هو أحسن من الدنيا.

كان **أبو العتاهية** يذكر الموت كثيرا في أشعاره لكي يذكر الناس أن الدنيا مجرد وهم وأن مهما عاش الإنسان فهو حتما مصيره الموت والعودة إلى خالقه فلذلك كان يأمر بالابتعاد عن ملذات الدنيا فنلاحظ من خلال شعره وإكثاره من مصطلح الموت أنه متأثر بموضوعها لدرجة أنه عبر عنها بجميع الأساليب بالمر والاستفهام والنهي وكذلك نسيان الناس للميت في خال دفنه مباشرة ثم الطلب من كل إنسان أن يستعد لداعي الموت قبل أن يفاجئه الأجل وهو غافل ، فيرى أنه لا فرق بين كبير وصغير أو مريض و طبيب فقد استخدم فكرة الموت للتخويف والزجر لنفسه ولغيره ويريد من الإنسان أن يشغل حياته في كل لحظة بذكر الموت ولا يغفل ساعة ، ويطلب منه حين يغزو الشيب مفرقيه أن يجلس ويستعد للموت وهو يؤمن بأنها رحلة من الحياة الفانية إلى الحياة الباقية، لكنه يركز على صنف واحد من الناس ألا وهو الإنسان الغافل فلم يذكر الصنف الآخر الذي يستقبل الموت استقبالا حسنا، وأنه يستبشر بملك الموت حين يراه فالنسيان للموت عند **أبي العتاهية** يعد جريمة بحق الإنسان لأن الحياة عنده مجرد مزرعة للآخرة.

موقفه من الدنيا:

طرق **أبو العتاهية** باب الزهد بدعوته إلى ترك الدنيا والتصبر عنها والابتعاد عن الشهوات واحتمال المكارة، فالدنيا هي متاع زائل وعبث باطل, تمني النفس أماني يفني الإنسان عمره في سبيل تحقيقها. والشاعر **أبو العتاهية** يحتقر الدنيا ويعظم الآخرة فيقول في غرور الدنيا.[1]

نصبت لنا دون التفكر يا دنيـــــا   أماني يفنى العمر من قبل أن تفنى

متى تنقضي حاجات من ليس واصلا   إلى حـــاجة حتى تكون له أخرى

فالشاعر عمد إلى التشخيص فجعل من الدنيا شخصا ينصب شباكا ليصطاد بها، هذه الشباك وراءها سجن وقيد فالدنيا عند **أبي العتاهية** هي مجرد فخ نصب للإنسان من أجل الوقوع في شركها وجعل من هذه الأبيات التفكر والتأمل في هذه الدنيا الفانية التي حتما مصيرها الزوال والفناء، فهي دار ممر لا دار مقر سيصبح كل جديد فيها قديما.

والإنسان يفرح بظهور الهلال وبزوغ شهر جديد وهو لا يدري أنه كلما طلع هلال نقص عمره فقال أيضا في فناء الدنيا وزوالها.[2]

---

[1] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م.، ص 07.

[2] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م.، ص 309-310.

ستخلق جدة وتجود حال — وعنـــد الحق تختبر الرجال

وللدنيا ودائع في قـلوب — بها جرت القطيعة والوصال

تخوف مـــا لعلك لا تراه — وتـــرجو ما لعلك لا تنال

وقد طلع الهلال لهدم عمري — وافــرح كلما طلع الهلال

فهذه الأبيات بدأها بحرف السين ليؤكد الحقيقة وهي فناء الدنيا واكتمالها وأن كل يوم يمر على الإنسان ناقص من عمره، فأبو العتاهية ينظر في الدنيا بأنها مجرد حلم يمكن للإنسان أن يستيقظ منه حيث يرى أن فناء العمر قبل فناء الدنيا وأن كل جديد لا بد أن يصبح خلقا ، والغرور في الدنيا لا يذكره الإنسان إلى حين تغرغر الروح ، ويحرص على عدم التمسك بالدنيا بل أن يتركها لمن يبغضه لا لمن يحبه، لأن حب الدنيا لا يغني عن الحياة. فالدنيا لدى **أبي العتاهية** لا تستأهل شيئا من العناية والاجتهاد في سبيلها فهي مجمع أباطيل خداعة زائلة ، حافلة بالمكر والألم والخيبة والتقلب فيحد من طمع الإنسان ووجوب القناعة وزوال الدنيا فاستخدم جميع الأساليب في شعره من الخبري إلى الاستفهام وهذا التنوع دليل على عزوفه عن هذه الدنيا ويريد من هذا التنوع أن يثبت للسامع أن الدنيا متلونة فليس هناك سرور دائم ولا حزن دائم.

يقول أبو العتاهية:[1]

رجعت إلى نفسي بفكري لعلهـا — تفـــــــارق ما قد غرها وأدلها

[1] أمراء الشعر العربي المقدسي، ص 160.

فقلت لها يا نفس ما كنت آخذا   من الأرض لو أصبحت أملك كلها

فهــــل هي شبعة بعد جوعـة   وإلا مــــــتى حان لي أن أملها

أرى لك نفسا تبتغي أن تــعزها   ولست تعـــــز النفس حتى تذلها

فهذا يعني أن مهما كسب الإنسان من مال وجاه وكل شيء في الدنيا لا يأخذ معه شيئا سوى كفن وأعماله مع الله فالناس سواسية.

الوعظ والنصح:

كان **أبو العتاهية** متعدد الجوانب ، موزع النشاط ومفتاح تلك الشخصية المعقدة وشعوره بالنقص بسبب منبته المتواضع قد دفعه إلى اتجاهين رئيسيين:

- دفعه إلى مهاجمة الطبقات العليا في المجتمع، وصار بذلك من الثوار والمتمردين
- ثم دفعه إلى أن يلبس مسوح الوعظ والمتصوفين لكي يتلقى معهم تكريم العامة واحترامهم، وصار بذلك من دعائم الاستقرار وحماة الآداب والتقاليد.

والقارئ لشعر **أبي العتاهية** يرى فيه قدرا كبيره من الوعظ الخالص ومنه قوله:[1]

أنلهـــــو وأيامنا تذهــب   ونلعب والموت لا يلعب

---

[1] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م، ص 194.

عجبت لذي لعب قد لهى		عجبت ونالي لا أعجب

أيلهو ويلعب من نفسـه		تمـــوت ومنزله يخرب

ترى كلما ساءنا دائما		على كل ما سرنا يغلب

استهل الشاعر هذه الأبيات بالاستفهام الذي يحمل في طياته الاستغراب والتعجب ممن يلهو ويلعب في هذه الدنيا وهو يعلم أنه سيموت وأن منزله الذي يعمره سيخرب ، ويعلم كذلك أن الأحزان في هذه الدنيا أكثر من السرور ، فنصيحته في هذه الأبيات هو عدم اللعب واللهو فهو يقدم هذه النصيحة مغلفة بالخوف والزهد، الخوف من الموت والزهد في الدنيا.

لقد وصل الأمر بالشاعر **أبي العتاهية** أن يقدم النصح والوعظ حتى للخلفاء والحكام وها هو يعظ الرشيد بقوله:[1]

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس		وان تمنعت بالحجاب والحـرس

فما تزال سهام الموت نافـــذة		في جنب مدرع منها ومـترس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها		إن السفينة لما تجري على اليبس

فلما سمعها **الرشيد** تقبلها وبكى حتى بل كمه.

لقد بدأ الشاعر أبياته بالحديث عن الموت وأنه لا يؤمن جانبه حتى ولو كان في حصن حصين لنفسه وبيته ، وفي البيت الثالث كلمات موحية ومعبرة وعظيمة في مدلولها فهو يضرب المثل

---

[1] نفس المرجع، ص 194.

بالإنسان الذي يريد النجاة من الغرق في الآثام ولا يسعد لهذه النجاة كالسفينة التي تحتاج الماء كي تجري فهي لا تجري على الأرض اليابسة.

لقد أثرت مواعظ **أبي العتاهية** حتى في غير المسلم، حيث مر عابد براهب في صومعة فقال له: "عظني، فقال: أعظك وعليكم نزل القرآن ونبيكم **محمد صلى الله عليه وسلم** قريب العهد بكم؟ فقلت: نعم، قال: فاتعظ ببيت من شعر شاعركم **أبي العتاهية** حين يقول:"

تجرد من الدنيا فانك إنما وقعت إلى الدنيا وأنت مجرد

بيت من الشعر بعد القرآن والحديث, يكفي لأن يكون واعظا وما ذلك إلا للمعنى العظيم الذي يحمله، فأبو العتاهية يطلب من الإنسان أن يتجرد من هذه الدنيا ، من كل شيء لا مال ، ولا منصب، ولا جاه، ولا ولد ولا ممتلكات، والسبب لأن مجيء الإنسان كان هكذا.

فهو يريد من الإنسان أن يعود من الدنيا كما جاء إليها ، وهو في زهدياته يتحول إلى واعظ وهو يستمد عظاته من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ووعظ الوعاظ من أمثال **الحسن البصري** كما يستمد من أشعار سابقة.

- **ذم حياة الملوك:**

إن منبت **أبي العتاهية** المتواضع جعله يهاجم الطبقات العليا كالملوك والخلفاء وأصحاب المال والمكانة العالية فيقول في ذلك.[1]

وكم من عظيم الشأن في قعر حفرة تلحف فيها بالثرى و قسر بلا (الطويل)

استخرج **أبو العتاهية** الأسلوب الخبري "**كم**" التي تفيد التكبر، أي أن هناك كثيرا من أصحاب الجاه و السلطان عندما وضعوا في حفرة القبر لم ينزل معهم من حطام الدنيا شيء، و أصبح التراب هو لباسهم و فراشهم وهذا المعنى مستمد من قوله تعالى: "و لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة و تركتم ما خولناكم وراء ظهوركم".[2]

كان أهل العصر **أبي العتاهية** وانبثقت نقمته على الفروق الطبقية والأوضاع الاجتماعية وتلك الحقيقة لم يحاول إخفاءها فكان منظر المواكب الضخمة يؤذيه فلا يملك الصبر على ما يرى، ومن ذلك ما رواه صاحب الأغاني من أن **حميد الطوسي** مر في موكبه و بين يديه الفرسات وحنيد واضع طرفه على معرفة فرسه والناس ينظرون إليه و يعجبون من ذلك، فقال **أبو العتاهية**:[3]

للموت أبنـــــــاء بهـــــم ما شئت من صلف وتيه

و كــــــانني بالمـــوت قد دارت رحـــاه على نبنيه

---

[1]أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م، ص 305.

[2] سورة الأنعام، الآية 94.

[3] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م ، ص670.

فهو يصور الموت بالرحى إذا راحت لن تفرق بين احد إلا من تخطاها فيعمر و يهرم، و يقول أيضا و هو يثبت حقيقة زوال ملك الملوك و كان هذا الملك أصبح خيالا:

كم من ملوك زال عنهم ملكهم فكان ذلك الملك كان خيالا[1] (الطويل)

فنراه في هذا البيت يستعمل " **كم**" الخبرية التي تفيد التكثير، فحقيقة الملوك زائلة أمام عجلة التاريخ و الزمان.

فحياة الملوك في الدنيا فرح وسرور مع الفتيات الجميلات، وأقوياء شجعان يقاومون الأسود، أما اليوم فهم يعيشون مع الدود لا يستطيعون دفعه عن وجوههم وج بلههم، وأصبحت الحيات والحشرات أن يسهم في وحشة القبر، نجد **أبو العتاهية** تعرض لمعاني كثيرة في ذم حياة الملوك منها: الملوك وعامة الناس متساوون أمام الموت، مسكن الموت القبر وفراشهم ولباسهم التراب، حتى أنهم لا يذودون الدود عن أنفسهم.

لقد كرر **أبو العتاهية "كم"** الخبرية في أبياته، فنجد مثلا:

"كم من عظيم الشأن" ، "كم من ملوك زال"

[1] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م ، ص307.

وهذا التكرار يدل على كثرة الملوك الذين كانوا يتنعمون في الدنيا، ونسوا ما ينتظرهم في القبر من وحشة وعذاب.

الحكم والأمثال:

أينما ذكر الزهد ذكرت معه الحكمة التي جاءت الشعر العربي الغنائي مستقلة حينا وغير مستقلة حينا أخرا، وفي هذا النوع من الشعر يعبر الشاعر عن تجربته الشخصية و الاجتماعية أو التاريخية وهو شعر يحمل أسمى المعاني والقيم التي ترضي العقل والحلق والدين، حيث يقول **أبا العتاهية**:

كم من غافل عن حياض الموت في لعب   يمشي ويصبح ركابا لمل هويا[1] (البسيط)

شعر تمتزج فيه الحكمة بوجدان الشاعر، ويعبر خلالها عن وجهة نظره إلى الموت والحياة، وقد تكون مجرد خاطرة فهي شعر مستمد من الواقع وتهم الإنسان في كل مكان وزمان ويقول **أبو العتاهية**:[2]

إذا المرءِ لم يلبس ثيابا الثقى   تقلب عريانا وان كان كاسبا

[1] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م، ص433.

[2] المرجع نفسه،ص434.

فأبو العتاهية يدعو إلى الزهد لما في أيدي الناس، انسجاما مع حديث **الرسول صلى الله عليه وسلم**:" ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيها في أيدي الناس يحبوك"[1]، رواه **ابن ماجة** وغيره

فيبدأ الحكمة بالنهي فيما في أيدي الناس من مال ومتاع ثم أن يتجنب أن يسبب للناس ما يضرهم، لأن ذلك يسبب له الهوان والذل.

ولأبي العتاهية مكانة عالية في الحكم، فهو يعقد جومع الحكمة في أبيات شعرية جميلة من ذلك قوله:

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى وكل غني في العيون جليل

وليس الغني إلا غـــني زين الفتى غشية يقري أو غداة ينيل[2]

حكمة جامعة، فالناس يحترمون الغني مالا، أما الفقير فلا مكانة له ولا احترام، فالغني يزين صاحبه هو حين يكرم الضيف ويتصدق على الآخرين.

ونرى أن **أبا العتاهية** يذيع حكما وأمنا لا كثيرة مقتبسا لمل من الآداب الفارسية، ومما يروي عن الحكماء العرب مثل **لقمان**، وافرد لها قصيدته ذات الأمثال التي يقال أنها امتدت إلى أربعة ألاف بيت، كانت عامة بغداد فتعلق بحكمه وأمثاله وزهدياته، وفي أخباره أن بعض الملاحين غنوا

---

[1] ابن الماجة،الحافظ أبو عبد الله بن يزيد القزوينب،حقق وعلق عله: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث ،ج2، ص1373.

[2] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م ، ص318.

الرشيد في إحدى نزهاته على صفحات وجلة، وذلك يدل على ما كان لأشعاره الزاهدة من صدى عميق في نفوس الطبقة العامة التي لم تكن تعرف ترفا ولا نعيما إنما كانت تعرف الكدح وشظف العيش[1]

فهذه الطبقة لم تكن أحسن الطبقة من الطبقات الأخرى فقد عاشت الآلام والبؤس.

أما بالنسبة للأمثال فعندما نطلع على شعر **أبي العتاهية** نجد أنفسنا أمام إنسان يعيش عصره، ويعرف ما يدور فيه، فينقل ذلك شعرا مؤثرا في النفوس، لا يلبث عند فهمه لشعر **أبي العتاهية** إلا أن يقر في قصيدتين ذات الأمثال يودع فيها كل الشعرية المؤثرة في النفس الإنسانية التي ترد العصاه إلى طريقة الهداية، أضف إلى ذلك أنها قصيدة تعليمية ترسم دستورا للعلاقات بين الناس، وبينهم وبين خالقهم إلى جانب الكثير من المعاملات الحسنة. والقصيدة طويلة نبلغ ثمانية وأربعين بيتا ومطلعها:

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت[2]

لقد أودع **أبو العتاهية** قصيدته ذات الأمثال أهداف نبيلة، صدرت عن إنسان واع لما يدور في **العصر العباسي** من خير وشر، فمثل هذه الأبيات مشعل من مشاعل الشعر العربي، التي يمكن الاستدلال بها في ظلمات العيش .

1 ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص251.

2 نوفل محمد محمود قاسم،المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي،ص182.

والمعاملات مع عامة الناس والنفس الإنسانية ولم تكن لتصدر **عن أبي العتاهية** لولا خبرته وكثرة مخالطته للناس ومعرفة ما يدور بينهم، فهو قد جمع من عادات الناس وتصرفاتهم مع بعضهم بعض مادة أدبية، صاغها شعرا حالما ذا رنة موسيقية لها علاقة بالنفس.[1]

يقول **أبو العتاهية** :

لن تصلح الناس وأنت فاسد　　　هيهات ما ابعد ما تكابد[2] (الرجز)

وهو معنى في غاية الجمال يريد منه أن المجتمع ما لم يصلح كل فرد ذاته فلن يصلح الناس والمجتمع أبدا إذا لم يبدأ الإنسان بإصلاح نفسه.

لقد تطرق **أبو العتاهية** في حكمه وأمثاله إلى المعاني الآتية:

الزهد لما في أيدي الناس كي تحبه الناس، والناس تحترم الغني في ماله لكن الغني الحقيقي هو غني النفس الصديق الوفي هو الذي يضحي بنفسه من اجل صديقه، الناس كلهم قالب واحد، الناس أصدقاؤك ما دمت لم تطلب منهم مساعدة وهم بخلاء حتى على الفقراء، الإنسان المحبوب هو الذي يبتعد عن الفواحش والمنكرات وقلبه سليم من الحقد، ومن الأمثال ما يوضح المعاني الآتية: يكفي الإنسان من هذه الدنيا هو الحصول على القوت، الأذى مهما قل فهو مؤلم كالليل يشعر

---

[1] نوفل محمد محمود قاسم،المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي ، ص 182.

[2] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م، ص446.

صاحبه بطوله، فلا سرور دائم ولا حزن دائم، الإصلاح يبدأ بالنفس ثم الآخرين، لكل اجتماع مصيره الافتراق مهما طال الزمن.

اللغة:

فاق **أبو العتاهية** أدباء عصره بتميزه بخصائص ينفرد بها بين طبقة الشعراء المحدثين فالمسائل التي تناولها الأدباء والنقاد في عصره تدور حول سهولة كلامه، وانه شاعر الطبع والرقة، وانه يتناول أشعاره من كمه لأنه قريب المأخذ، وهو شاعر البديهة والارتجال، والمعنى يجتمع لديه دون أن يكلف نفسه الدوران حوله، وشعره كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب.[1]

شكل القصيدة وأسلوبها:

إن شعر **أبي العتاهية** في الزهد تالف من قصائد ومقطوعات كثيرة زادت على أربع مئة وخمسين قصيدة ومقطوعة، ويندر أن تخلو قصيدة من حديث الموت والتذكير به، للتأكيد أن الحياة الدنيا لبئس بدار بقاء، أنها لا تستحق الاهتمام بها والانغماس في ملذاتها.

ونلاحظ من خلال الدراسة السابقة لأشعار **أبي العتاهية** انتفاضة شكل المقطوعة الشعرية وهذا إطار محدود و ضيقن يعبر فيه الشاعر أحيانا عن خاطر رواده، أو معنى طريف جال في نفسه، فاقتصه ثم يتوسع فيه أو يولد منه ما يصنع قصيدة طويلة.

[1] أبو الأنوار محمد، الشعر العباسي، تطوره وقيمه الفنية، ص276.

ونلاحظ أيضا سيطرة المعجم القرآني على إشهار **أبي العتاهية** ونستدل من خلال هذه الظاهرة على نزعة التدين، ودلل على جانب من جوانب ثقافة الشعراء في ذلك العصر، وقد كان حفظ القران لدى الأكثرية منهم أول مرحلة من مراحل التحصيل.

وكثرة المقطوعات في شعر **أبي العتاهية** يعود إلى الغرض الزهدي الذي قبلت فيه، لان المقطوعة أكثر استيعابا لهذا الغرض، فهي لا تتطلب التحضير المسبق والعناية والمراجعة كما هو الحال في القصيدة، وإنما يرتجلها الشاعر مع الطبع والبديهة، فتكون ملازمة للموقف والمقام، وما أكثر المواقف التي يحتاجها الشاعر في مثل هذا الغرض لتذكير العامة والخاصة.

بالموت والزهد في الدنيا، والترغيب بالجنة، فموضوع **أبي العتاهية** الزهدي جعله ينحدر بشعره إلى مستوى العامة، يحدثهم بالأسلوب الذي سهل على عقولهم ويستطيعون استيعابه وفهمه، ويستخدم فيه الألفاظ والصور المألوفة لديهم، وهذا يجعل الموضوع وسيلة مرشده وسهلة لتحديد الأسلوب، وكان **أبو العتاهية** يقارب في لغته من لغة الحياة اليومية، التي يعبر بها عن الدين الذي دع إليه في شعره.

فاقتربت أشعاره من الصياغة النثرية، وهي قريبة النسبة في أسلوبها بالخطبة الوعظية، فانطبعت أشعاره بالسهولة والوضوح و البعد عن التعقيد.

أما فيما يتعلق بالمحسنات البديعية فهي محدودة في شعر **أبي العتاهية** باستثناء بعض المقابلات اللفظية والتي تأتي عفوا الخاطر، وكان يهدف من وراء ذلك إلى تأكيد الفكرة عن طريق المقابلة، كما انه اعتمد في قصائده أسلوب التكرار، لأن الواعظ بطبعه ملح على إيصال فكرته وتوضيحها، ولان شعر الزهد يقصد به جماهير الناس بعامة، ولم يكن يقصد به الخلفاء والأمراء وعليه القوم وأثريائهم، فلجا إلى تكرار كلمة واحدة في القصيدة استشارة للقارئ كي يستهويه هذا التكرار ويواصل تدبره للمعاني الواردة فيها.

➢ قرب المعنى وسهولة اللفظ:

"و قد ذكر **أبا العتاهية** و **أبا نواس والحسن بن الضحاك** اجتمعوا يوما، فقال **أبو النواس**: لينشر كل واحد منكم قصيدة لنفسه من غير مدح ولا هجاء، فانشد **أبو العتاهية** هذه القصيدة:[1]

يا إخوتي إن الهوى قاتلي   فسيروا الأكفان من عاجل

ولا تلوموا في إتباع الهوى   فايتي في شعل شاغل

عيني على عتبه منهلة   بدمعها المنسكب السائل (السريع)

[1] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م، ص446.ص 617_616.

فعندما ما سمعوا هذا الإنشاء التي يحمل ألفاظ سهلة و إشارات حسنة فامتنعوا هم عن الإنشاء و ذهلوا بما قال **أبو العتاهية** و قالوا بان هذا الكلام سهل لا حشو فيه ولا نقصان، يعرفه العاقل و بقربه الجاهل فشاعرة **أبي العتاهية** كانت في جملتها على هذا النمط الشعري البعيد عن الحشو والإغراق، ألفاظه سهلة و قريبة التناول بين الناس كما كان يسموا لبياتا إلى درجة السهل الممتنع.[1]

ومن الحق أن السهولة ظلت في أسلوب شعره منذ فاتحة حياته، حتى انه طبقها في زهده وأكدها تأكيدا شديدا، حتى لتكاد تسقط منه بعض مقطوعات لما يجري فيها من ضعف.

فأبو العتاهية شاعر الفطرة والموهبة، ويبدو أن طاقته الفنية تتبع من موهبته في الإحساس بسعة وتنوع التشكيل الموسيقي في مفردات اللغة و تراكيبها، فهو بعبقرية فطرية اكتشف خصوبة اللغة في تشكيلاتها الموسيقية، ودلالائها الخصبة حتى فيما تيسر من شائع الفظ، وهو دائما على وعي بقاموسه الفني وفي بيان قرب المعنى ئ سهولة اللفظ عند **أبي العتاهية** يقول صاحب الأغاني: أطبع الناس بشار و السيد **أبو العتاهية،** وما اقدر احد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته، و أن عزيز البحر، لطيف المعاني كثير الافئنان، قليل التكلف، وأكثر شعره هو الزهد والأمثال[2] ويمتاز **أبو العتاهية** بقلة التكلف و سهولة الألفاظ، و حجته في ذلك انه يرمي إلى العظة و الزهد، ينبغي أن يكون شعره مفهوما لدى الناس عامة، فهو الذي نهج للشعراء مناهج الزهد فاتقوا أثره فيها:

---

[1] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ- 1985، ص 617-616.

[2] أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(2)، الجزء الرابع، 1412هـ 1992م ، ص 3- 4.

وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا فابذله للمتكرم المغضال

وإذا خشيت تعذرا في بلدة فاشدد يديك بعاجل الترحال

واصبر على نكد الزمان فإنما فرج الشدائد مثل حل عقال[1]

في هذه الأبيات نراه يطلب من الإنسان المحتاج أن يسأل حاجته إنسانا ذا فضل كما انه يطلب منه الصبر على مصائب الزمن لأنه مع اليسر و مع الضيق الفرج.

التأثر بالمعاني الإسلامية و الأجنبية:

ورد عن **أبي العتاهية** قال ذات مرة: قرأت سورة "عما يتساءلون" [2] ، وفي قصيدة له تأثر بالألفاظ والكلمات التي وردت في هذه السورة، لعل مقولته السابقة كانت مقدمة لخبر هذه القصيدة ليوضح بأنه صاحب موهبة فنية نستطيع الاهتداء بألفاظ من النظم القرآني المعجز، و ما كان له أن يزيد في دعواه عن ذلك والظاهرة من الناحية الفنية تقف عند حدود استخدامه لفواصل و مفردات ورد بعضها في هذه السورة المباركة[3] ، والقصيدة التي نعنيها منها قوله :

أذل الحرص والطـــمع الرقا با وقـــد يعفو الكريم إذا استرابا

[1] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م، ص446.، ص284.

[2] سورة النبأ، الآية 01.

[3] أبو الأنوار، محمد، الشعر العباسي تطوره و قيمه الفنية ص285.

وان لكل حــادثة لـــــوقتا وان للكـــــل ذي عمل حسابا

وكل سلامة تعد المـــــنايا وكـــــل عمـــــارة تعد الخرابا

وكـل مملك سيصـــير يومه وما ملكـــــت يداه معا تبابا[1]

(الـــــوافر)

القصيدة تقع في ثلاثين بيتا، **فأبو العتاهية** يريد أن يلفت النظر إلى انه في قصائده كان يستطيع الاهتداء بألفاظ و فواصل وردت في سورة معينة و هذا النوع من الاقتباس رفع منزلته الفنية في نظر مستمعيه.

تأثر شعراء الأندلس بالمعاني الإسلامية فيتجه إجلالهم لرجالات الإسلام والصحابة الكرام وفي مقدمة الشخصيات التي أكثروا الوقوف عندها ويستلهمون منها المثال الرفيع لحياتهم، شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد بالغ شعراء الزهد في احتقار الدنيا و تعلقت قلوبهم تعلقا شديدا بحب الله ورسوله ،و كانا هما الفكرة الرئيسية التي تنظم أشعارهم.[2]

[1] أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م، ص446.، ص21-19.

[2] بهجت منجد مصطفى، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف و المرابطين، ص447.

كما كان للأندلسيين عناية بالغة بالقران الكريم وعلومه، فقد جاء في **مقدمة ابن خلدون** :

"وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القران و الكتاب من حيث هو، و هذا هو الذي يراعونه في التعليم إلا لما كان القران أصل ذلك ورأسه، و منبع الدين و العلوم".[1]

لقد كان القران الكريم هو الصورة المثالية في معانيه، ولهذا تأثر به الشعراء في أفكاره العالية من ناحية و بأسلوبه و تركيبه البليغ من ناحية أخرى.

سبب تأثر **أبا العتاهية** بالمعاني الإسلامية هو انه يريد أن يوضح للمستمع انه صاحب موهبة فنية يستطيع أن يهتدي بألفاظ من النظم القرآني، كما كان في زهدياته يتحول إلى ما يشبه واعظا، و يستمد هذه العظات من القران و الحديث النبوي الشريف.

[1] ابن خلدون عبد الرحمان محمد، مقدمة ابن خلدون، ج 3، ط3 ، تحقيق الدكتور عبد الواحد واقي، دار نهضة مصر، للطبع و النشر، الفحالة، القاهرة، 1979م ، فصل 40، ص1249.

خاتمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا...

علمنا القرآن الكريم الزهد في هذه الحياة التي هي متاع الغرور، وعلمنا رسولنا الكريم محمد – صل الله عليه وسلم– وصحابته الكرام النظر إلى هذه الدنيا بأنها ظل زائل، وكعمر لا تدوم على حال لنخرج منها عائمين إلى دار الخلود التي أعدها الله عز وجل للعالمين الزاهدين وقد تبين لنا من خلال هذا البحث ما يأتي:

1 -إن الزهد قد نشأ نشأة إسلامية خالصة مشهداً أصولها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قولاً وعملاً، وهذا هو الزهد الايجابي الذي يعني الانقطاع عن الدنيا والناس وانتقلت هذه الظاهرة إلى الناس مع علماء الدين والصحابة.

2 -كانت الأحوال السياسية والاجتماعية من الأسباب التي عملت على تقوية النزعة الزهدية في المجتمع الإسلامي عند أبي العتاهية حيث كان المجتمع يموج بألوان من التناقضات، فالثراء والمجون يقابلة البؤوس والحرمان، ثم الصراعات السياسية ، وإزهاق الأرواح والدماء والأشلاء المتناثرة.

3 -تميز أبي العتاهية في شعره عن غيره من الشعراء حيث أنه هو من أثر على الشعر وليس العكس حيث أن شعره يتميز بالسلامة والوضوح، إذ نادراً كلمات صعبة غامضة تحتاج في توضيحها إلى معجم لغوي.

4 -ارتبط الزهد في شعره بحالته النفسية، إذ يحسن أن يكون شعر الزهد من زاهد، حيث يكون عالماً بفضله مدركاً لأنواعه ودرجاته وبالتالي يمتلك القدرة الشعرية التي تؤثر في نفوس المتلقي.

- يعد الزهد في شعره بمثابة التخصص، حيث وجدنا أن ديوانه قد اهتم بهذه الظاهرة "الزهد" أكثر من غيرها، بل لا يكاد يذكر الزهد إلا ويذكر معه شيء من شعر أبي العتاهية في كثير من المراجع التي اطلعنا عليها.
- هناك مراتب "درجات وردت في النوع الثالث من أنواع الزهد في شعره فيما يتعلق بالمرغوب عنه وهو الدنيا وما يرتبط بها.
- تعددت موضوعات شعر الزهد وتنوعت، حيث كان موضوع الموت أكثر اهتماماً عند الشعراء ، وما تسبقه من نذر الشيب والكبر، ثم ما يتصل بالموت من وصف القبور، وأحوال الناس يوم القيامة، والتنفير من الدنيا، والتحذير من فتنها والقناعة من الحرص والمال، ودم ذوي الجاه والسلطان وكثرة النصائح والمواعظ.
- الحكمة والزهد متلازمان فأينما ذكر الزهد ذكرت الحكمة، لأن الشاعر يعبر فيها عن تجربته الشخصية والاجتماعية.
- إن لغة الزهد سهلة واضحة عن التكلف وقد تصل على حد الابتذال والاقتراب من لغة العامة.
- برزت بعض الخصائص الفنية المشتركة لهذا الشعر، فهو في أغلبه شعر مقطوعات تحث على الزهد والتخلي عن الدنيا.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

➤ القرآن الكريم.

أ. المصادر:

1) ابن ماجة،الحافظ أبو عبد الله بن يزيد القزوينب، حقق وعلق عله: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث ،ج2.

2) ابن خلدون عبد الرحمان محمد، مقدمة ابن خلدون، ج 3، ط 3 ، تحقيق الدكتور عبد الواحد واقي، دار نهضة مصر، للطبع و النشر، الفحالة، القاهرة، 1979م ، فصل 40.

3) ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، مادة زهد، ج3.

4) أبو فرج الأصفهاني ، الأغاني، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط(2)، الجزء الرابع، 1412هـ 1992م.

ب.المراجع:

1) أبو الأنوار محمد، الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية، ط 2، دار المعارف.

2) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، تحقيق شكري فيصل، مكتبة دار الملاح للطباعة والنشر، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985.

3) آذر شب محمد علي، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، تهران، انتشارات سمث، 1382 هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

4) الأفندي محمد ثابت وجماعته، دائرة المعارف الإسلامية، مادة (زهد)، المجلد 10.

5) أنيس إبراهيم، منتصر عبد الحليم، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم الوسيط.

6) بهجت منجد مصطفى، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف والمرابطين، دار الثقافة بالقاهرة للطباعة والنشر.

7) حليف، يوسف، تاريخ الشعر في العصر العباسي، دار صادر، الجزائر.

8) حنى الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

9) خفاجة عبد المنعم محمد، تاريخ الأدب في العصر العباسي، الأزهرية، مكتبة الكليات، 1981

10) خليف يوسف، تاريخ الشعر في العصر العباسي، دار الثقافة بالقاهرة للطباعة والنشر.

11) ديوان أبي العتاهية, تقديم كرم البستاني, دار بيروت للطباعة والنشر 1406 هـ 1976م.

12) ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، مصر.

13) عز الدين إسماعيل، الرؤية والفن، دار الفكر، بيروت، لبنان.

14) مصطفى الشعكة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

15) نزار عبد الله الضمور, الزهد في الشعر العباسي, دار الجامد للنشر والتوزيع، ط 1، 2012 -1433هـ.

16) نوفل أحمد ، سورة يوسف (آية 20) دراسة تحليلية, سلسلة القصص القرآني, دار الفرقان، ط1، عمان، 1409هـ 1989.

17) نوفل محمد محمود قاسم، المختار من الشعر والشعراء في العصر العباسي ، دار الفكر، بيروت، لبنان.

18) هشام يحيى، تاريخ الأدب العربي ، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ط 1، القاهرة، مصر، 2010.

الفهرس:

الفهرس: